من الرعايا بعد نظم العسكر ونحوه من مصالح الدين ويجعل عهدتها اى رعاية حقوقها في
صرفها الى مصارفها في عنقه قال ابن عمر رضي الله عنهما ادفعوا زكوة اموالكم الى الامراء
وان شربوا بها الخمر يعني اجعل انت عهدتها في عنقه فليفعل هو ما فعل قالوا اذا اخذ السلطان
هذه الاموال فان صرفها الى مصارفها والا ففي غير الخراج الاولى اعادتها ويعظم الوالي
اى السلطان تعظيما ويكرمه اكراما ففي الحديث السلطان ظل الله من اهانه وفي بعض
النسخ فمن اهان ظل الله وفي نسخة اخرى فمن اهان سلطان الله اذله الله تعالى ذلا اولا ومعنى
كون السلطان ظل الله تع استعارة له وتشبيه به لان ظل الشيء ما يناسبه في الجملة ويحكى
عنه والسلطان كذلك فانه ينتظم بوجوده مملكته كما ينتظم سلسلة الممكنات بوجود
الحق سبحانه ولان الظل يتنعم به ويلتجا اليه عند احتدام الحر واشتداده كذلك
السلطان يتنعم به ويلتجا اليه عند اضطرام شرر الشر ويناسب هذا المعنى قوله صلى
الله عليه وسلم ياوي اليه كل مظلوم وقيل في تفسير الظل ههنا هو النعمة وقيل الحفظ وقيل
الهيبة ويدعو له اى للسلطان بالفلاح والخير ولا يلعنه على الجور والظلم فان ما يصلح
الله تع على ايدي الولاة في امر العامة اكثر مما يفسدون بانفسهم وقال بعض
الكبراء لو كانت لي دعوة واحدة مستجابة لم اجعلها الا في الامام فانه اذا صلح
والصلاح ضد الفساد وبابه دخل وقال الفرا صلح ايضا بالضم كذا ذكر في مختار الصحاح
اى اذا لم يفسد الامام من العباد من الفساد فصلاح الرعايا من صلاحه لذلك قال
المص وهو شريك رعاياه في كل خير عملوه ويرى كل رعية جور السلطان عذابا
من عند الله نزل عليهم جزاء على ما قدمت ايديهم اى عملوا انفسهم مقدما وقوله من
الخطايا بيان لما وهي الخطايا جمع خطيئة وفي الحديث كما تكونون في الصلاح والفساد
يولى على صيغة المجهول اى يجعل عليكم احدكم والباء بمعنى ان تكونوا صالحين فيجعل واليكم
رجلا صالحا وان تكونوا صالحين فيجعل واليكم رجلا صالحا وقال الحجاج بن يوسف هو امير
جابر وهو في الظلم مثل عمر في العدل حين قيل له لم لا تعدل مثل عمر وانت ادركت خلافته افلم ترد
عدله وصلاحه فقال في جوابهم تباذروا صيغة امر من باب التفاعل اى كونوا كابي ذر في
الزهد والتقوى اتعمر لكم صيغة مضارع للمتكلم من باب التفاعل مجزوم على انه جواب الامر
اى اعاملكم معاملة عمر في العدل والانصاف وفيه اشارة الى ان صلاح الولاة وفسادهم
على حسب صلاح الرعايا وفسادهم اى اذا كان الرعايا اهل فساد سلط الله تع عليهم ملوك
الجور لقمع المفسدين وامن الطرقات فتسليط الله الملوك الجابرة على الرعايا ليس الا لاصلاحهم
فلذلك قال بعض المفسرين في تفسير قوله تع واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة المراد بالنعمة
الظاهرة ائمة العدل والباطنة ملوك الجور وفي الحديث سيكون امراء يفسدون في الارض

وما يصلح الله به

وما يصلح الله بهم اكثر وقد نقل الغزالي في الاحياء عن بعض الصوفية انه قال جور السلطان
ستين سنة خير من فساد الرعية يوما واحدا والخشب المعلقة على ابوابهم خير من سبعين
قاضيا يقضي اى بالحق وقال السبكي يحصل بالسلطان الجابر من ازالة الفساد وقمع الخوارج
والمحاربين ما لو اجتمع قضاة العدل باسرهم لم يقدروا على عشر معشاره ففي ملوك الجور نعم
باطنة لا يدركها الا المحققون كذا ذكر الامام السيوطي في رسالته المعمولة في تعداد النعم
الظاهرة والباطنة وقال الشيخ محيي الدين العربي في وصاياه من الفتوحات احذر ان تجرح نظرك
على علم الله تع في خلقه بمن قدمه من الولاة في النظر في امور المسلمين وان جاروا فان لله تعالى
فيهم سرا لا تعرفه وان ما يدفع الله بهم من الشر ويصلح بهم من المصالح اكثر من جورهم ان جاروا
وهذا كثير يقع في الناس يرجحون نظرهم على ما فعل الله في خلقه وياتيهم الشيطان فيعلق
تسفيههم بالذين ولوه ويحول بينهم وبين الصحيح من كون الله ولاهم وينسيهم امره صلى الله
عليه وسلم ان لا تخرج يدا من طاعة وان لا تنازع الامر اهله فيدخل لهم الشيطان من هذه الا
حاديث وامثالها ما يخرجهم بذلك عن الاسلام وينسيهم قوله صلى الله عليه وسلم فان جاروا
فلكم وعليهم وان عدلوا فلكم ولهم وان الله يزع بالسلطان ما لم يزع بالقران ولو لم يكن في هذه
المسئلة الا اعتراض الملائكة على الله تع في خلافة آدم عليه السلام لكان كافيا وقد جعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الزكوة ان ينقلب المصدق وهو العامل الذي على الزكوة
راضيا عنك وان ظلمك وهذا باب قد اعقله الناس وقد اغفلوه على انفسهم فما يرى
احد الا وله في ذلك نصيب ولا يعلم ما فيه عند الله تع وقد راينا على ذلك براهين من الله
كثيرة انتهى كلامه فعلى كل واحد من المسلمين التضرع لله تع والانابة اى الرجوع اليه الى
الله تع بالتوبة والاستغفار عند فشو بضمتي الفاء والشين وتشديد الواو مصدر
من فشا الخبر اى شاع وانتشر اى عند انتشار الظلم وشمول الجور وكذلك يظهر جور الوالي
وعدله في الضرع والزرع والاشجار والاثمار والمكاسب والحرف يعني يحبط لبن الضرع و
ينزع بركة الزرع وينقص ثمار الاشجار ويكسد معاملة التجار واهل الحرف في تلك الا
مصار التي في مملكة ذلك الملك الجائر بشوم ظلمه وسوء فعله ويكون الامر على عكس ذلك اذا عدل
وهذا ما قاله وهب بن منبه اذا هم الوالي بالجور او عمل به ادخل الله تع النقص في مملكته حتى
في الاسواق والزرع والضرع ونحو ذلك من كل شيء واذا هم بالخير والعدل ادخل الله تعالى
البركة في اهل مملكته قال الله تع فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا كذا في روضة الناصحين وحكي ان
سلطان محمد خان مر على ارض يكثر فيه قصب السكر وكان الملك لم يره بعد فقشر له بعض القصبات
فلما مص منه السكر استحسنه واستلذته في الغاية فخطر بباله ان يضع فيه من الرسوم
كالباج والخراج حتى يحصل له في كل سنة كذا وكذا فلما مص منه بعد هذه الخاطرة وجده

Copyright King Saud University